في مخزن خاص، ثم يعطى ثياباً خاصة للمستشفى، ويدخل إلى القاعة المخصصة لأمثاله من المرضى، ويخصص له سرير مفروش بأثاث جيد،...إلخ)[1].

الوحدة الثانية

القرآن الكريم والسُنة النَّبويَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(النحل:٤٤)

صدق الله العظيم

(1) **السباعي:** د. مصطفى، **من روائع حضارتنا**، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨م، ص ٩٤ وما بعدها.

محتويات الوحدة وأهدافها

وتتمثل في الآتي:

١. **القرآن الكريم كلام الله:**

الهدف: إثراء معلومات الطلبة حول القرآن الكريم، بوصفه المصدر الأول للثقافة الإسلامية.

٢. **نزول القرآن الكريم وجمعه:**

الهدف: أن يتعرف الطلبة على كيفية نزول القرآن الكريم، وحكمة ذلك. وأن يتتبع الطلبة جهود السلف الصالح في جمع القرآن الكريم ومنهاجهم العلمي في ذلك.

٣. **تفسير القرآن الكريم وترجمته وإعجازه:**

الهدف: أن يتعرف الطلبة على المقصود بتفسير القرآن وترجمته. وأن يناقشوا وجوه الإعجاز في القرآن، ليقفوا على مواضع الإبداع فيها.

٤. **السنة النبوية:**

الهدف: أن يتعرّفَ الطلبة على السنة النبوية وعلى منهج البحث العلمي في رواية الحديث، وأنه أدق المناهج العلمية في الرواية التاريخية.

القرآن الكريم

(لقد أثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية. فلم أكن أعتقد قط بإمكانية اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحدّ من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقتها تمامًا للمعارف العلمية الحديثة، وذلك في نصّ كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا. في البداية لم يكن لي أي إيمان بالإسلام. وقد طرقت دراسة هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم مسبق وبموضوعية تامة).

موريس بوكاي. الطبيب والعالم الفرنسي المعروف في كتابه الشهير: (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم)

القرآن الكريم هو: كلام الله تعالى، المُنَزَّلُ على النبي محمد ﷺ، باللفظ العربي، المُعجِزُ، المنقولُ بالتواتر، المُتَعَبَّدُ بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس.

وهو المصدر الأساس للتشريع الإسلامي، فيه هدى للناس ورحمة، وهو ينبوع الحكمة، ومصدر الخير، لا تنقضي عجائبه، ولا يَخلَقُ على كثرة الرد.

وهو هدى الله تعالى للعالمين، أنقذ البشرية من ظلمات الشرك والوثنية إلى نور التوحيد، ونقلها من التقليد والجمود إلى التحرر العقلي والتفكير الحر، ودعا إلى المساواة والعدل بين البشر، ونبذ التمييز والعدوان والظلم، وأنشأ جيلاً فريداً، نشر الحق والخير والعدل في كل مكان.

القرآن الكريم كلام الله تعالى:

القرآن الكريم هو: كلام الله تعالى المنزل على محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾(الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥).

ومما يدل على أنَّ القرآن الكريم من الله تعالى وليس من عند محمد ﷺ:

١- المعهود من سيرته ﷺ عند العرب أنه كان يتميز بالصدق والأمانة، فما كان ليترك الخيانة والكذب على الناس، ويكذب على الله تعالى.

٢ - لو كان القرآن الكريم من عند النبي ﷺ لنسبه إلى نفسه، وكفاه فخراً أن ينسب إلى نفسه ما عجز العرب والإنس والجن جميعاً عن الإتيان بسورة من مثله.

٣ - نقل المسلمون عن النبي ﷺ القرآن الكريم كما نقلوا عنه أحاديثه الشريفة، ولا يصعب على أي إنسان أن يتبين الفروق الكبيرة بين الكلامين، من حيث الأسلوب والبلاغة والإعجاز، فلو كان القرآن الكريم من عند النبي ﷺ، لما نزلت أحاديثه في الرتبة عن رتبة القرآن الكريم، وَلَمَا افترقَ كلامُه على درجتين متفاوتتين هذا التفاوت الكبير.

٤ - ورد في القرآن الكريم بعض آيات العتاب الشديد للنبي ﷺ، ومن ذلك:

معاتبته ﷺ في قبول الفداء من أسرى بدر، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال:٦٧). ومعاتبته لإعراضه عن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى، حيث انشغل النبي ﷺ عنه بنفر من زعماء قريش يدعوهم إلى الإسلام، قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝٤ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١﴾ (عبس:١-١١). ولو كان القرآن الكريم من عند النبي ﷺ لما ضمّنَهُ هذا العتاب، لأن الإنسان لا يعاتب نفسه أمام الناس ولا يعلن لهم أخطاءه بهذا الأسلوب الشديد في اللوم والعتاب.

٥ - حوى القرآن الكريم أنواعاً كثيرة من الإعجاز، كالإعجاز البياني والإعجاز العلمي والإعجاز الغيبي والإعجاز التشريعي، وهي إعجازات لا يقدر على الإتيان بمثلها محمد ﷺ ولا غيره من البشر[١].

القرآن الكريم منقول بالتواتر وبرواية العامَّة:

تم نقل القرآن الكريم عبر العصور بطريق التواتر، بل وبرواية العامة عن العامة أي الأمة عن الأمة، ومعنى ذلك:

أنه نقله عدد هائل من الناس في جيل، عن عدد هائل من الناس في الجيل الذي قبلهم، وهؤلاء نقلوه عن عدد هائل من الناس في الجيل الذي قبلهم، وهكذا، إلى أن نصل إلى جيل التابعين، الذين نقلوه عن جيل الصحابة ﷺ، ثم لا يخطئ أفراد جيل من المسلمين، على كثرتهم وتباعدهم، في نقل حرف منه.

---

(١) **القطان:** مناع، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٦، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨م، ص٣٦ - ٣٨.

ونقل الأخبار والألفاظ **بطريق التواتر وبرواية العامة يفيد العلم اليقيني والقطع بصحة المنقول**، وأن القرآن الكريم الذي في صدورنا وفي المصاحف التي بين أيدينا هو كما أنزل على محمد ﷺ، لم يتغير منه حرف أو حركة ولم تُحرف فيه كلمة واحدة.

وبعض الناس قد يتشكك أو قد يخطر في باله أن القرآن الكريم ربما حُرِّفَ أو غُيِّرَ فيه، وهؤلاء لا يدركون حقيقة أن التواتر طريق يفيد عقلاً اليقين والقطع، ولتوضيح ذلك نضرب المثال الآتي:

لو أنه جاءك شخص يخبرك أنه رأى شخصاً معيناً في مكان معين وبتاريخ ووقت محددين، فإنك قد تصدقه وقد تكذبه. ثم إذا أتاك شخص آخر يخبرك بمثل ما أخبرك به الأول وبالتفاصيل ذاتها، وهما لا يعرف كل منهما الآخر لتقول إن الأول قد أخبره، فإنك ستزداد ثقة بصحة ما أخبر به الأول.

وتخيل أنه تتابع على تأييد الأول والثاني ألوف الأشخاص، كلهم يخبرونك بالخبر ذاته وبالتفاصيل ذاتها، إنك عندئذ، ستحكم قطعاً بصدق ما أخبرك به هذا الجمع الكبير من الناس، لأنه لا يُعقل أن يكون صدفةً اجتماعُ مثل هذا العدد الكبير من الناس، والذين لا يعرف بعضهم بعضاً، على الإخبار بالخبر نفسه وبتفاصيل دقيقة ومتطابقة، ثم لا يكون ما أخبروا به صحيحاً.

> **أفكر:** إذا أنكر شخصٌ وجود دولة تشاد مثلاً، وأكد لنا أن كل الأخبار والصور عن وجودها كاذبة، فإننا نستهجن كلامه ونتهمه بالهذيان، مع أننا قد لا نكون زرنا هذا البلد ولا رأيناه، فما مصدر قطعنا بوجوده؟!

وهكذا القرآن الكريم، نَقلَ كلَّ حرف وكلَّ كلمة منه وكلَّ حركة فيه، آلافٌ مؤلفةٌ من الصحابة ﷺ، وآلافٌ مؤلفةٌ من كل جيل بعدهم في كل عصر، بالكيفية نفسها، وبالتفاصيل والحروف والحركات والكلمات والآيات والسور والقراءات ذاتها، لا يختلف اثنان من أي جيل وفي أي عصر في شيء من ذلك، فالعقل يحكم قطعاً بأنه هكذا نزل دون أي تغيير أو تحريف.

نزول القرآن الكريم:

بدأ نزول القرآن الكريم بواسطة جبريل عليه السلام على قلب النبي محمد ﷺ، في **ليلة القدْر**، ومعنى القدْر هنا الشرف، وإذا كانت هذه الليلة قد اتَّصفت بالشرف والبركة لنزول القرآن الكريم فيها، فكيف بحال وقدْر من يقوم بإنزال القرآن الكريم في قلبه؟

ثم استمر بالنزول المتدرج حسب الحوادث على مدار ثلاث وعشرين سنة؛ ثلاث عشرة سنة منها قبل الهجرة وعشر سنوات بعدها. وقد اصطلح أكثر العلماء على تسمية ما نزل من القرآن الكريم قبل الهجرة بالقرآن المكي، وما نزل بعدها بالقرآن المدني.

أستنتج: الفاصل بين المكي والمدني، هو **الحد الزماني** المتمثل بالهجرة ولا عبرة بالمكان، فما نزل بعد الهجرة هو قرآن مدني ولو نزل في مكة، وما نزل قبل الهجرة هو قرآن مكي ولو لم ينزل في مكة[1].

وقد ركّزَ القرآن المكي على الحديث عن العقيدة والأخلاق الأساسية، كالدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده والبعث والجزاء والوفاء بالعهود والبعد عن الفواحش، بينما كثر في القرآن المدني الحديث التفصيلي عن التشريعات والتكليفات العملية، كالمعاملات المالية والعقوبات.

وذلك أن المرحلة المكية كانت مرحلة تأسيس، لا بد فيها من التركيز على الأساس وهو الإيمان والأخلاق، وذلك لبناء نفس مؤمنة تسارع إلى التزام الأحكام العملية، حين تفرض، برضا وتسليم. وأيضاً فإن تشريع الأحكام العملية يقتضي وجود دولة تطبقها، ودولة الإسلام إنما قامت في المدينة المنورة لا في مكة المكرمة.

أفكر: اتصفت الآيات المكية، بشكل عام، بالقِصَرِ، بينما اتصفت الآيات المدنية بالطول، لماذا؟!

حِكمة نزول القرآن الكريم بالتدريج:

استشكل الكفار قديماً نزول القرآن الكريم مُنجَّمَاً (أي بالتدريج)، وزعموا أنه لو كان من عند الله تعالى لنزل دفعة واحدة، لأن الله تعالى قادر على ذلك، بخلاف الإنسان الذي يحتاج إلى وقت قد يطول أو يقصر إذا ما رام تأليف كتاب، فردَّ الله تعالى عليهم هذه الشبهة ببيان حِكمَتين رئيستين لنزوله منجماً:

١ - **تثبيت النبي ﷺ وصحابته الكرام:** فكلما واجه النبي ﷺ وصحابته الكرام محنة أو أذى من المشركين، نزلت آيات من القرآن الكريم تُعلِمُهُم أن الله تعالى معهم ولن يخذلهم، وأن الابتلاء والأذى الذي يلاقيه الأنبياء والدعاة سنة إلهية، وأن أمماً كثيرةً قبل قريش قد آذت أنبياءها ومن آمن معهم وأخذهم الله تعالى بالعذاب ونصر أنبياءه، فتقوى بذلك عزيمة النبي

---

(١) أنظر: **السيوطي:** جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، مراجعة وتدقيق: سعيد المندوه، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦م، ٣٥/١.

ﷺ وصحابته الكرام، ويُخفِّفُ ذلك عنه وعنهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾ (الفرقان:٣٢).

٢ - **التدرج في التغيير والتعليم:** إن تغيير كل ما كان عليه الناس في الجاهلية دفعة واحدة، من عقائد فاسدة وعادات اجتماعية سيئة، أمر يشق على النفوس، وربما يؤدي إلى رفض الإسلام كله، لأن تلك العقائد والعادات كانت متأصلة في النفوس، نشأ عليها الناس وألفوها، فاقتضت الحكمة أن يغير الله تعالى هذه الاعتقادات والعادات بالتدريج ليسهل تركها وتغييرها، فكلما حدثت حادثة نزل الحكم فيها.

وذلك أيضاً يسهل من تعلم المسلمين في ذلك الوقت للقرآن وحفظه وفهمه وتطبيقه، قال تعالى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ (الإسراء:١٠٦)[1].

جمع القرآن الكريم:

كان الصحابة ﷺ يتلقفون كل ما ينزل من القرآن الكريم ويتعهدونه بالحفظ والترتيل، وكان النبي ﷺ يأمر بعض أصحابه بكتابة ما ينزل، وعُرِفَ هؤلاء بكتبة الوحي، ومنهم: الخلفاء الأربعة، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب ﷺ، وكان كل منهم يحتفظ بنسخة لنفسه مما يكتبه، وتوفي النبي ﷺ والقرآن الكريم محفوظ في الصدور، متفرق في نسخ مكتوبة.

إلى أن قام الصحابة ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ، بجمعه كتابة في مصحف واحد، بأمرٍ من رئيس الدولة الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ، ثم نُسخ في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ.

أفكر: لماذا لم يجمع النبي ﷺ القرآن الكريم في مصحف واحد في حياته؟!

الجمع الأول للقرآن الكريم:

كان الجمع الأول للقرآن الكريم في عهد أبي بكر ﷺ، وقد كثر القتل في الصحابة ﷺ في حروب الردة، وخاصة القراء منهم، فخشي عمر ﷺ ضياعَ القرآن الكريم بذهاب حفاظه، فأشار على أبي بكر ﷺ أن يجمعه في مصحف واحد، وأن يرتب سوره وآياته حسب ما كان

([1]) **القطان:** د. مناع، **مباحث في علوم القرآن**، مرجع سابق، ص ١٠٢ - ١١١.

النبي ﷺ يطلب ترتيبها ويُعلم صحابته حفظها، وبعد تردد، وافق أبو بكر على اقتراح عمر وشكل لجنة علمية من الصحابة ترأسها زيد بن ثابت ﷺ.

وقام أعضاء اللجنة بعمل مضنٍ، وطلبوا نُسَخَ كَتَبَةِ الوحي التي تفرق القرآن الكريم فيها مكتوباً، وطلبوا مجيء حُفّاظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، وقابلوا النُسَخَ بعضها ببعض، وقابلوا ذلك كله بحفظ الحفاظ، وتوثقوا من طريقة كتابة كل كلمة وحرف، إلى أن أنجزوا عملهم بكتابة القرآن الكريم جميعه في مصحف واحد.

وقد أودعَ ذلك المصحفُ عند أبي بكر ثم انتقل بعد وفاته إلى عمر، وبعد وفاة عمر بقي عند ابنته حفصة زوج النبي ﷺ، وظل عند حفصة إلى أن طلبه عثمان ليقوم بالجمع الثاني، رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم[1].

الجمع الثاني للقرآن الكريم:

عندما انتشر الإسلام في الآفاق، ودخلت فيه أمم كثيرة، قدم **حذيفة بن اليمان** ﷺ، الذي كان يشارك في الفتوحات حينها، على الخليفة عثمان ﷺ، وأخبره بما رآه من اختلاف الناس حديثي العهد بالإسلام في أطراف الدولة في القراءة، وخاصة منهم الشعوب التي دخلت في الإسلام من غير العرب، قائلاً له: (يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى)، فأرسل عثمان إلى حفصة رضي الله عنها يطلب نسختها، وشكل لجنة من الصحابة برئاسة زيد بن ثابت ﷺ، وطلب من اللجنة أن تنسخ عن تلك النسخة عدة نُسَخٍ. ثم قام عثمان ﷺ بإرسال نسخة إلى كل طرف من أطراف الدولة الإسلامية، وأرسل مع كل نسخة قارئاً متقناً من الصحابة يعلم الناس القراءة، وأمر بإحراق كل النسخ الشخصية التي كتبها الناس بأنفسهم مخافة وجود نقص أو خلل فيها، ثم أرجع نسخة حفصة إليها.

---

(1) إن ما خاف منه الصحابة لم يحصل، فلم يحدث في عصر من العصور أن مات جميع حفاظ القرآن الكريم، وفي كل عصر مئات ألوف من المسلمين يحفظون القرآن الكريم كاملاً عن ظهر قلب، والمعتمد في حفظ القرآن الكريم إنما هو على النقل السماعي والحفظ عن ظهر قلب، وهذا كان في حياة النبي ﷺ وبعده إلى عصرنا، وكل ما صنعه الصحابة إنما هو جمعه كتابة في مصحف واحد بين دفتين، نقول هذا، كي لا يفهم بعض الناس أن الصحابة قد حفظوا القرآن الكريم بعد أن لم يكن محفوظاً.

وعن تلك النُسَخِ التي أرسلها عثمان ﷺ إلى الآفاق، نَسَخَ الناسُ نُسَخَهم إلى يومنا هذا، ولذلك يشار إلى المصاحف المنتشرة في العالم الإسلامي اليوم، على أنها مكتوبة بالرسم العثماني. والطرق التي أرسل القراء بتعليمها للناس هي الطرق التي لا نزال نقرأ بها إلى اليوم[1].

أستنتج: ما الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان، من حيث الدافع؟

تفسير القرآن الكريم:

لم يفسر الرسول ﷺ كل القرآن الكريم، إنما ورد عنه تفسير بعض آياته، وذلك كي يتيح المجال لمن بعده أن يتدبروه ويستخرجوا كنوزه في كل عصرٍ من عصورهم. ولو فسّره النبي ﷺ لتوقّف المسلمون عند حدود تفسيره لا يتجاوزونه، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (ص: ٢٩).

فضلاً على أن مدلول النص القرآني لا يمكن أن يحيط به أحد من البشر، ولا أن يحده تفسير مهما كان ضخماً، وفي كل عصر يكتشف المسلمون شيئاً لم يكن كشفه السابقون، قال تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ (الكهف: ١٠٩).

فقد اهتم العلماء عبر العصور بتوضيح معاني القرآن الكريم وكشف أسراره، وهكذا ظهر علم التفسير وتطور حتى صار من أهم العلوم.

ولم يتوقف التفسير عند عصرٍ محددٍ ولا جيلٍ معيّنٍ، بل ظهرت تفسيرات جديدة للقرآن الكريم في كل عصر منذ بداية التدوين والنهضة العلمية للمسلمين وحتى عصرنا الحديث.

ومن أشهر كتب التفسير القديمة:

١- تفسير الطبري المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، لابن جرير الطبري، وهو أول تفسير كامل مكتوب للقرآن الكريم، ولذلك يُلقب الطبري بـ (شيخ المفسرين).

٢- تفسير ابن كثير المسمى (تفسير القرآن العظيم)، وهو من كتب التفسير التي تميزت بسهولة العبارة وعدم الإطالة، **وقد جَمَع خُلاصة تفسير الطبري مع زيادة تنقيح وتهذيب.**

([1]) **الصابوني**: محمد علي، **التبيان في علوم القرآن**، دار الصابوني، السعودية، ط٢، ١٩٨٧م، ص٤٥ - ٥٨.

٣- تفسير الزمخشري المسمى (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، وهو من أعظم كتب التفسير التي تميزت بإبراز الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

٤- تفسير القرطبي المسمَّى (**الجامع لأحكام القرآن الكريم**) وهو من أهم كتب التفسير المطولة، التي عنيت بجمع أقوال العلماء المتعلقة بآيات الأحكام.

ومن كتب التفسير الحديثة:

تفسير (التحرير والتنوير) للطاهر بن عاشور. وتفسير (في ظلال القرآن) لسيد قطب. و(التفسير المنير) لوهبة الزحيلي.

قواعد في الفهم السليم للقرآن الكريم

للوصول إلى فهم سليم لآيات القرآن الكريم، وللتعامل الصحيح مع كتب التفسير، هناك قواعد لا بد من مراعاتها، من أهمها[1]:

١- **التزام قواعد اللغة العربية ودلالاتها:** يجب تفسير الآيات وَفق دلالات اللغة العربية الفصيحة، وعدم تفسيرها خارج ما تحتمله دلالات اللغة. فقد نزل القرآن بلسان عربي مبين. ومن الأمثلة على ذلك: أنه ينبغي مراعاة دلالات الألفاظ كما كانت في عصر نزول القرآن فيما يتعلق بالمفردات التي تغيرت دلالاتها. فكلمة (سائحات) مثلاً لا تعني مفهوم السياحة في عصرنا، وكلمة (**سيارة**) لا تعني ما تدل عليه اليوم، وهكذا. ومن الأمثلة على ذلك أيضاً: أنه لا بد من البعد عن التكلف والتعسف في فهم الآيات وتأويلها تأويلاً فاسداً لتتناسب مع مفاهيم يرى الشخص صحتها. والموقف السليم يتمثل في التزام فهم الآيات كما هي وَفق دلالات اللغة العربية البيّنة من غير تكلّف بعيد ولا تأويل فاسد.

٢- **تفسير القرآن بالقرآن:** وذلك بجمع الآيات حول الموضوع الواحد من شتى سور القرآن لتشكيل تصوُّر قرآني شامل عن الموضوع الواحد قبل الحديث فيه. ذلك أن الصورة المجزوءة قد لا تساعد في إعطاء تفسير صحيح ولا حكم سليم. ومعلومٌ أن القضية الواحدة قد يتناولها القرآن في أكثر من موضع فيه حسب الحاجة.

٣- **تفسير القرآن بصحيح السنة:** وذلك بالاعتماد على الأحاديث الصحيحة دون الأحاديث الضعيفة والموضوعة. وإدخال الحديث المشكوك في صحته إلى التفسير وحمل كلام الله تعالى عليه، يشكّل إساءة بالغةً لكلام الله تعالى وانتقاصاً لهيبته وتحريفاً لمعانيه عن مراد الله تعالى إلى كلامٍ تناقله البشر ولا وجهَ لصحّته.

٤- **مراعاة السياق:** يختلف المعنى أحياناً باختلاف السياق الذي ورد فيه، وبالتالي لا بد من ملاحظة سياق الآية لتحديد المعنى الصحيح لها. وعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ ۋ ۋ ۋې﴾(آل عمران:٣٦)، قد يُفهم منه خطأً التمييز بين الذكر والأنثى، وليس الأمر كذلك، إذ بالرجوع إلى السياق يتبين أن المقصود: ليس الذكر كالأنثى في غرض خاص، يتعلق بنذر المولود لخدمة دور العبادة والعابدين فيها.

---

(1) أنظر في ذلك: **القرضاوي**، د. يوسف، **كيف نتعامل مع القرآن العظيم**، دار الشروق، القاهرة، ط٦، ٢٠٠٧م.

٥- **ملاحظة أسباب النزول:** أي ملاحظة الوقائع أو الأحداث التي نزلت فيها بعض الآيات، وذلك يُساعد كثيراً في الوصول إلى المعنى الصحيح لتلك الآيات. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:١٥٨). قد يُفهم منه خطأً أن السعي بين الصفا والمروة غير واجب، وليس ذلك بمقصود، بل الآية نزلت لأن المسلمين شعروا بالحرج النفسي، لأن أهل الجاهلية كانوا يسعون بين الصفا والمروة وعلى كل منهما صنم يقدسونه، فنزلت الآية لرفع مثل هذا الحرج.

٦- **الحذر من الإسرائيليات:** الإسرائيليات هي حكايات منقولة عن أهل الكتاب إلى كتب التفسير، وفيها تفاصيل لحكايات وأحداث لم يقم القرآن الكريم بتفصيلها، مثل تحديد نوع الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام، وأسماء الحيوانات التي حملها نوح عليه السلام في سفينته، وحكايات تفصيلية من حياة الرسل السابقين وأحداث تاريخية وكونية[١].

ولا بد من الحذر من هذه الإسرائيليات وعدم الاعتماد عليها في التفسير، خاصة وأن منها ما يخالف عموم القرآن الكريم ويعارض العقل والمنطق السليم، فضلاً على أنَّ العناية بمثل هذه الحكايات التفصيلية يخالف منهج القرآن الكريم الذي لا يحفل بالتفصيلات غير المهمة. ولو كان في تلك التفصيلات فائدة لما أغفلها القرآن الكريم. وقد تنبه عددٌ من المفسرين إلى خطر هذه الإسرائيليات وضرورة تنقية كتب التفسير منها.

ترجمة القرآن الكريم:

هناك طريقتان لترجمة أي نص من لغة إلى لغة أخرى: الترجمة التفسيرية، وتقوم على نقل المعنى العام لنص ما، من لغة إلى أخرى. والترجمة الحرفية، وتقوم على نقل نص من لغة إلى أخرى، مع الاحتفاظ بكل ما في النص الأصلي من دلالات ومزايا لغوية في الأسلوب والنظم.

والترجمة التفسيرية مطلوبة شرعاً، لأنها تنقل معاني القرآن الكريم إلى غير الناطقين باللغة العربية، وذلك يساعد على انتشار الدين وعموم الخير للعالمين، وهي، في الحقيقة،

---

(١) انظر أمثلة مستفيضة من كتب التفسير على الإسرائيليات، في: **أبو شهبة:** د. محمد، **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ص ١٥٩ وما بعدها.

تفسير للقرآن الكريم لكن بلغة غير العربية، وهي أشبه ما تكون، بأن يأتي مترجم إلى كلام ابن كثير في تفسيره مثلاً، فينقله إلى الإنجليزية، ولذلك فإن من الأدق أن يطلق على هذه الترجمة تعبير: (ترجمة معاني القرآن الكريم) لئلا يُظنّ أنها ترجمة حرفية للقرآن الكريم.

وأما الترجمة الحرفية فهي محرمة شرعاً باتفاق العلماء، بل هي غير ممكنة أصلاً، ولا يمكن أن نعدها كلاماً إلهياً مقدساً، وذلك لأسباب، من أهمها:

١- إن ألفاظ القرآن الكريم ذات دلالات دقيقة، وقد لا يصل المترجم إلى المعنى الدقيق، أو قد يخطئ في فهمه، أو في انتقاء الألفاظ الدقيقة للتعبير عنه. وقد لا يوجد في اللغة المترجم إليها ألفاظ مقابلة تعطي الدلالات الدقيقة لتلك الألفاظ العربية في النص القرآني.

٢- إن أية لغة تشتمل على المجاز والكنايات التي لا يمكن ترجمتها حرفياً إلى لغة أخرى، خذ مثلاً قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾(الإسراء٢٩)، فالآية فيها كناية عن الإسراف والبخل، ولو ترجمت حرفياً، لما فهم المتحدث باللغة المترجم إليها المعنيين المذكورين منها.

واجبنا نحو كتاب الله تعالى:

إنَّ القرآن الكريم مظهر من أهم مظاهر رحمة الله تعالى بنا، فقد قدَّم سبحانه هذه الرحمة على خلق الإنسان في قوله تعالى في مطلع سورة الرحمن، حيث قال: "الرحمن علم القرآن خلق الإنسان"، (الرحمن: ١_٣)، وحتى ننال أنوار القرآن الكريم ورحماته لا بد أن تعامل معه التعامل الذي لايليق بمكانته ومن ذلك:

أ. **التَّرتيل**: لقول الله تبارك وتعالى: "ورتل القرآن ترتيلا"، (المزمل: ٤)، والترتيل يعني قراءة القرآن بتؤدة وتأن، حتى يتمكن القارىء من التفكر في الآيات الكريمة، فالقرآن الكريم إذا قرىء كما أمر سبحانه فإنه خير ما يُقرِّب الإنسان من ربّه.

ب. **التَّدبر**: وهذا هو الهدف الأعظم من قراءة القرآن الكريم وتحسين الصوت به وهو: أن لا يقف القارىء عند ظاهر الكلمات، بل يبحث عما وراء هذه الألفاظ من معان ومقاصد، كي يتأثر بالقرآن الكريك ويحرِك به قلبه، ولا يكتفي بتمريره على اللسان[١].

[١] انظر: عباس: فضل، **إتقان البرهان**، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٩٩٧م، (١/٢٩-٣٢).

ت. **التطبيق العملي في حياتنا:** فالقرآن الكريم نزل ليكون منهاج حياة، وليس لمجرّدِ التلاوة والقراءة، ولذلك نجد آيات القرآن الكريم تقرن بين الإيمان والعمل في عشرات الآيات.

ث. **العناية بالنماذج القرآنية:** فقد ذكر لنا القرآن الكريم من خلال آيات القصص القرآني عشرات النماذج الإنسانية في مختلف الأحوال والمجالات، ومن هذه النماذج: نموذج الغني الشاكر في شخصية سليمان عليه السلام، ونموذج الحاكم العادل الذي لم يلهه ملكه عن عبادة ربه ورعاية شعبه، ونموذج المبتلى الصابر على البلاء في شخصية أيوب عليه السلام، ونموذج الشاب المتعفف عن الحرام في شخصية يوسف عليه السلام، رغم فتوته وجماله وشبابه، وقوة دواعي الإغراء حوله، وغيرها من النماذج الكثيرة[1]

[1] انظر: القرضاوي، **ثقافة الداعية**، ص٢٧- ص٣٠.

إعجاز القرآن الكريم:

إنَّ القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى المعجز الذي لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله.

> **أتعلم:** المعجزة هي: أمر خارقٌ للعادة، مقرون بالتحدي، مع عدم المعارضة[1].

وقد تحدى الله تعالى الناس أن يأتوا بمثل القرآن الكريم فعجزوا، وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا، وكان آخر ذلك التحدي أن تحداهم بسورة من مثله فعجزوا، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣).

ووجوه إعجاز القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة[2]، نعرض بإيجاز لثلاثة أنواع منها، هي:

الإعجاز البياني.

والإعجاز الغيبي.

والإعجاز العلمي.

الإعجاز البياني في القرآن الكريم

أي إن تراكيب القرآن الكريم وأساليبه في التعبير وفي استخدام الألفاظ، على درجة من الدقة والبلاغة والجمال والإبداع، تأخذ بالألباب وتبهر العقول، وهو ما أدركه أهل اللغة والفصاحة والبيان من العرب قديماً.

فها هو جبير بن مطعم ﷺ يقول: سمعت النبي ﷺ يقرأ في صلاة المغرب بالطور حتى انتهى إلى قوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا

---

(١) هذا تعريف الرازي للمعجزة، أنظر: **الفهداوي:** د. عبد الجليل إبراهيم، **خوارق العادات عند المسلمين**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥م، ص ٦٠.

(٢) أنظر كتب الإعجاز في القرآن الكريم، على سبيل المثال: **عباس:** د. فضل حسن، وسناء فضل حسن، **إعجاز القرآن الكريم**، دار الفرقان، عمان، ط ١٩٩١م، ص ١٥٩ ومابعدها.

يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾(الطور: ٣٥ -٣٧)، قال: (كاد قلبي أن يطير)[١]، وعمر ﷺ، لما سمع سورة طه أعلن إسلامه، رغم ما كان منه من عداوة شديدة للإسلام وأهله[٢]، وها هو الوليد بن المغيرة الذي كان أحد سادة قريش والمشهورين فيها بالفصاحة والبلاغة، حينما سمع القرآن الكريم، عبر عن ذهوله مما سمع قائلاً: (والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وإنه يعلو ولا يعلى عليه، وإنه يحطم ما تحته، سمعت قولاً يأخذ القلوب)[٣].

وقد وصل الأمر بالكفار من العرب حينها، إلى أن تواصوا بتجنب سماع القرآن الكريم، لما له من تأثير مذهل يفوق تأثير السحر، وليس بسحر، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (فصلت: ٢٦)، بل لقد آثروا خوض حروب طاحنة وطويلة مع المسلمين، ذهبت فيها أنفسهم وأموالهم وأولادهم، على أن يحاولوا الإتيان بمثل سورة واحدة منه.

> **أتأمل:** إن التحدي بالإتيان بسورة، هو، في الحقيقة تحدٍّ بعشر كلمات فقط، لأن أقصر سورة في القرآن الكريم، وهي سورة الكوثر، تتكون من عشر كلمات!

ومن الأمثلة على الإعجاز البياني:

١ - **قوله تعالى:** ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة:١٧٩)، أي إن الإنسان حين يعلم أنه إذا قَتَلَ، فسوف يُقتل، فإنه لن يُقدمَ على القتل، وكانت العرب تعبر عن هذا المعنى بقولهم:(القتل أنفى للقتل).

---

(١) رواه **البخاري**، محمد بن إسماعيل، **الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري)**، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧م، كتاب التفسير، باب سورة والطور، الحديث رقم: ٤٥٧٣، ج٤، ص١٨٣٩، وسيشار إلى هذا المرجع فيما بعد اختصاراً هكذا: رواه البخاري.

(٢) **ابن هشام**: عبد الملك بن هشام، **السيرة النبوية**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط ٤، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١م، ٣٦٤/١ - ٣٧١.

(٣) أخرجه **الطبري**: محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥ هـ، ١٥٦/٢٩، وأورده **الألباني**: محمد ناصر الدين، في: **صحيح السيرة النبوية**، المكتبة الإسلامية، عمان، ط١، رقم (١٥٧)، ٥٠٧/٢.

وقد أبرز العلماء بلاغة عبارة القرآن الكريم على عبارة العرب بأكثر من عشرين وجها، منها: أن التعبير بالحياة أوقع في النفس من التعبير بالقتل الذي يُشعِرُ بالوحشة. وأنه ليس كل قتل فيه حياة، كما يفهم من عبارة العرب، وإنما هو قتل معين هو القصاص. وأن عبارة العرب كررت لفظة القتل مرتين، بينما خلت عبارة القرآن الكريم من التكرار[1].

٢ - **قوله تعالى:** ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾(الأنفال: ٣٣).

فقد تحدثت الآية الكريمة عن سببين لرفع العذاب: وجود الرسول ﷺ بين الناس، واستغفار الناس. ولما كان وجود رسول الله ﷺ مؤقتاً إلى أن يحين أجله، وأما الاستغفار فهو باق إلى يوم القيامة، عبر عن الأول بالفعل الذي يفيد التوقيت بالزمان، وعبر عن الثاني بالاسم الذي يفيد الثبوت والاستقرار[2].

٣ - **قوله تعالى:** ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾(المائدة: ٣٨). **وقوله تعالى:** ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾(النور: ٢).

فقد قدم الرجل في الأولى، لأن السرقة في الرجال أكثر، وقدم المرأة في الثانية، لأن المرأة هي التي تدعو إلى الزنا بالإغراء وعرض المفاتن.

٤ - **قوله تعالى:** ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾(عبس: ٣٣ - ٣٧)،

وقوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾(المعارج: ١١ - ١٥).

والسؤال هنا: أنه لِمَ بدأ في (عبس) بذكر الأخ، فالأم، فالأب، فالصاحبة، ثم الأبناء، وفي (المعارج) عَكَسَ، فبدأ بالأبناء، فالصاحبة، فالأخ، فالفصيلة، ثم أهل الأرض؟

والجواب: أن الحديث في (عبس) عن الفرار وقت الحشر، والإنسان يفر من الأباعد أولاً، ثم ينتهي بألصق الناس به، والأخ أبعد المذكورين، وأما ألصقهم بالمرء فزوجته وأولاده، الذين يأوي إليهم في حياته كل يوم، وهو بأولاده أشد ارتباطاً وتعلقاً منه بزوجته. وأما في (المعارج)،

---

(١) أنظر: **الرازي:** فخر الدين محمد بن عمر، **تفسير الفخر الرازي**، دار الفكر، بيروت، ط ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥م، ٣/ ٦١.

(٢) **السامرائي:** د. فاضل صالح، **التعبير القرآني**، دار عمار، عمان، ط١، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨م، ص٢٦.

فالحديث عن موقف حرج جداً بعد القضاء واقتراب التنفيذ، وقد جيء بالمجرم ليقذف به في الجحيم، فإن المجرم في تلك اللحظة يود لو يفتدي من ذلك العذاب بأقرب الناس إلى قلبه، فبدأ بالأقرب: ابنه! ثم الأبعد فالأبعد، وفي ذلك دلالة على هول العذاب، حتى ليستعد المجرم للتضحية بأقرب الناس إليه[1].

والملاحظ أن سورة المعارج لم يُذكر فيها أن الإنسان يمكن أن يفتدي من العذاب بالأب أو الأم، ومن جميل ما قيل في ذلك: إن الإنسان قد يفر من أبويه، لكنه لا يستطيع أن يفتدي بهما من العذاب أمام الله تعالى، لأنه مأمور من الله تعالى ببرهما. فكيف يخرق هذا الأمر ولا يُعظم تلك الحُرمة؟!

٥ - **قوله تعالى:** ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج: ٣١).

في الآية الكريمة تصوير دقيق لما يكون عليه المشرك من ضياع وتشتت وتمزق، وتصوير لعاقبته الوخيمة، ولنترك الكلام لسيد قطب، رائد التصوير الفني في القرآن الكريم، يوضح هذه الصورة الفنية الرائعة التي يرسمها القرآن الكريم لنفس المشرك، يقول:

(إنه مشهد الهوي من شاهق ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، وفي مثل لمح البصر يتمزق ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾، أو تقذف به الريح بعيداً عن الأنظار ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ في هوة ليس لها قرار..

والملحوظ هو سرعة الحركة مع عنفها، وتعاقب خطواتها في اللفظ (بالفاء)، وفي المنظر بسرعة الاختفاء.. على طريقة القرآن الكريم في التعبير بالتصوير..

وهي صورة صادقة لحال من يشرك بالله، فهوي من أفق الإيمان السامق، إلى حيث الفناء والانطواء، إذ يفقد القاعدة الثابتة التي يطمئن إليها، قاعدة التوحيد، ويفقد المستقر الآمن الذي يثوب إليه، فتخطفه الأهواء تخطف الجوارح، وتتقاذفه الأوهام تقاذف الرياح،

([1]) **السامرائي:** د. فاضل صالح، **لمسات بيانية في نصوص التنزيل**، دار عمار، عمان، ط٢، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ص١٩٣ - ١٩٧.

وهو لا يمسك بالعروة الوثقى، ولا يستقر على القاعدة الثابتة التي تربطه بهذا الوجود الذي يعيش فيه)[1].

ويقول أحد الباحثين: (ثم إن صوت القاف في ﴿سَحِيقٍ﴾ ، والصوت الذي يلحقه نتيجة القلقلة، يرصدان لحظة ارتطام جسم المشرك بالأرض في نهاية الهوي)[2].

٦ - ولصوت اللفظ وجَرسِه شأنه في القرآن الكريم:

يقول سيد قطب: (وقد يستقل لفظ واحد لا عبارة كاملة برسم صورة شاخصة،...، تارة بجرسه الذي يلقيه في الآذان، وتارة بظله الذي يلقيه في الخيال، وتارة بالجرس والظل جميعاً، تسمع الأذن كلمة ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾، في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾(التوبة: ٣٨)، فيتصور الخيال ذلك الجسم المُثَّاقِلَ، يرفعه الرافعون في جهد، فيسقط من أيديهم في ثقل، إن في هذه الكلمة (طُنَّاً) على الأقل من الأثقال! ولو أنك قلت: تثاقلتم، لخف الجرس، ولضاع الأثر المنشود، ولتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ، واستقل برسمها.

وتقرأ: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾(النساء: ٧٢)، فترتسم صورة التبطئة في جرس العبارة كلها، وفي جرس ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ خاصة، وإن اللسان ليكاد يتعثر، وهو يتخبط فيها، حتى يصل ببطء إلى آخرها.

فإذا سمعت: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ (البقرة: ٩٦)، صورت لك كلمة ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾، المقدمة في التعبير على الفاعل لإبرازها، صورة الزحزحة المعروفة كاملة متحركة، من وراء هذه اللفظة المفردة.

وكذلك قوله: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾(الشعراء: ٩٤ - ٩٥)، فكلمة ﴿فَكُبْكِبُواْ﴾ يُحدث جرسها صوت الحركة التي تتم بها.

([1]) **قطب:** سيد، **في ظلال القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٥، ١٣٨٦ هـ، ١٩٦٧م، ٥٩٧/٥ - ٥٩٨، وقد أبدع سيد قطب في اكتشاف وتجلية هذا الوجه من إعجاز القرآن الكريم وهو ما سماه: (التصوير الفني في القرآن)، وذلك في كتاب له بهذا العنوان، بالإضافة إلى تفسيره المشهور (في ظلال القرآن).

([2]) **بني دومي:** د. خالد قاسم، **دلالة الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم**، جدارا للكتاب العالمي، عمان، ط١، ٢٠٠٦م، ص٢٣٠.

ونوع آخر من تصوير الألفاظ بجرسها، يبدو في سورة الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾(الناس: ١-٦)، إقرأها متوالية، تجد صوتك يحدث (وسوسة) كاملة تناسب جو السورة، جو وسوسة "الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس")[1].

(والإمالة كذلك تعكس تناسقاً دقيقاً بين البنية والدلالة، يتضح هذا التناسق الصوتي الدلالي في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ (هود: ٤١)، فالإمالة في ﴿مَجْرِىٰهَا﴾، ترسم الصورة المتأرجحة للسفينة، وهي تمخر عباب البحر،...، أما قوله ﴿وَمُرْسَىٰهَآ﴾، فالبنية الصوتية لهذه اللفظة، ترسم صورة السفينة في حال استقرارها على سطح مستوٍ)[2].

٧ - وللإيقاع قصته في القرآن الكريم:

يقول سيد قطب: (إن في القرآن إيقاعاً موسيقياً متعدد الأنواع، يتناسق مع الجو، ويؤدي وظيفة أساسية في البيان،...، وحيثما تلا الإنسان القرآن أحس بذلك الإيقاع الداخلي في سياقه،...، وها نحن أولاء نتلو سورة النجم مثلاً:

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ (النجم: ١-٢٢).

هذه فواصل متساوية في الوزن تقريباً، على نظام غير نظام الشعر العربي، متحدة في حرف التقفية تماماً، ذات إيقاع موسيقي متحد،...، والإيقاع الموسيقي هنا متوسط الزمن تبعاً لتوسط الجملة الموسيقية في الطول، متحد تبعاً لتوحد الأسلوب الموسيقي، مسترسل الرويّ كجو الحديث الذي يشبه التسلسل القصصي...،

([1]) **قطب:** سيد، **التصوير الفني في القرآن**، دار المعارف، القاهرة، ط١١، ١٩٩٤م، ص ٧٨ - ٨٠.

([2]) **بني دومي:** د. خالد قاسم، **دلالة الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص ٢٦٤.

فلو أنك قلت: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة، لاختلت القافية، ولتأثر الإيقاع، ولو قلت: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الأخرى، فالوزن يختل، وكذلك قوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾، فلو قلت: ألكم الذكر وله الأنثى؟ تلك قسمة ضيزى، لاختل الإيقاع المستقيم بكلمة ﴿إِذًا﴾)[1].

ولنختم الإعجاز البياني، ببعض الوجوه الدالة في هذا المقام، من وجوه كثيرة ذكرها العلامة رحمة الله الهندي، مستدلاً بها على أن القرآن الكريم كلام الله:

- الكلام الفصيح إنما يتفق في القصيدة في البيت والبيتين، والباقي لا يكون كذلك، بخلاف القرآن، فإنه مع طوله، فصيح كله، بحيث يعجز الخلق عنه.

- إذا كرر الشاعر أو الكاتب فكرة أو قصة، لا يكون كلامه الثاني في البلاغة مثل كلامه الأول، وقد تكررت في القرآن الكريم قصص الأنبياء وأحوال المبدأ والمعاد والأحكام والصفات الإلهية، واختلفت العبارات في ذلك إيجازاً وإطناباً، وتفنناً في بيانها غيبة وخطاباً، ومع ذلك جاء كل واحد منها في نهاية الفصاحة.

- دارت مواضيع القرآن الكريم حول: ترسيخ مبادئ العقيدة الصحيحة، وبيان العبادات والتشريعات، وتحريم القبائح، والحث على مكارم الأخلاق، واختيار الآخرة والعمل لها، وذلك كله بأسلوب غاية في الفصاحة والبلاغة والتشبيهات والتصويرات.

مع أن أمثال هذه المواضيع، يتعذر بيانها بأسلوب فصيح بليغ، يسحر الألباب والعقول، ولذلك إذا قيل لشاعر فصيح أو كاتب بليغ، أن يكتب تسعاً أو عشراً من مسائل الفقه أو العقائد، في عبارة فصيحة مشتملة على التشبيهات البليغة والاستعارات الدقيقة، فإنه يعجز[2].

الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم

أخبر القرآن الكريم عن أحداث قبل وقوعها، ثم حصلت لاحقاً كما أوردها القرآن الكريم من غير زيادة ولا نقص.

مثال ذلك إخباره الناس بأن الروم الذين هُزموا أمام الفرس سيعاودون الانتصار على الفرس في بضع سنين، وهو ما حصل فعلاً كما أخبر الله تعالى في كتابه العزيز.

([1]) **قطب:** سيد، **التصوير الفني في القرآن**، مرجع سابق، ص ٨٦ وما بعدها.

([2]) **الهندي:** رحمة الله بن خليل الرحمن، **إظهار الحق**، دراسة وتحقيق وتعليق: د.محمد أحمد ملكاوي، دار الجيل، القاهرة، ط٣، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ٧٧٦/٣ - ٧٧٧.

ذلك فضلاً عن إخباره عن أمور سابقة من الأمم الغابرة لم يكن يعرفها لا النبي ﷺ ولا قومه من قبل أن تتنزل عليه في القرآن الكريم.

ويلحق بذلك أيضاً إخباره عن أشياء حصلت بالسر بين اثنين لا ثالث لهما، بل وإخباره عن أشياء لا زالت في صدور أصحابها ولم يبوحوا بها لأحدٍ قط.

والسؤال هنا:

مِن أين للنبي ﷺ أن يعلم بكل ذلك، لولا الوحي الذي تنزل عليه بالقرآن من الله تعالى. فهو وحده، سبحانه، الذي يعلم السر وأخفى، وهو علاّم الغيوب، يعلم ما كان وما يكون وما سيكون، ويعلم خائنة الأنفس وما تُخفي الصدور، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

والأمثلة على الإعجاز الغيبي في القرآن كثيرة، بل ومتجددة، فالقرآن لا يَخلَق على كثرة الرد، وفي كل يوم نكتشف فيه معاني جديدة وأشياء غير معهودة.

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

المقصود بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم: إخباره بحقائق علمية، أتت الاكتشافات العلمية الحديثة تؤكد صحتها.

والقرآن الكريم كتاب هداية للبشر وليس كتاباً متخصصاً في العلوم الحديثة، وإنما وردت إشارات الإعجاز العلمي فيه، ليتبين كل إنسان أنه تنزيل من حكيم حميد، إذ لا يستطيع الإخبار عن الحقائق العلمية في الكون والإنسان، وقبل أن يكتشفها الإنسان بقرون متطاولة، إلا الخالق سبحانه، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ (فصلت: ٥٣).

وإشارات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم كثيرة، نعرض نماذج منها:

١ - خلق الإنسان

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾(السجدة:٧ - ٨).

واستخدام لفظة ﴿سُلَٰلَةٍ﴾ ينطوي على إعجاز علمي، لأن من معاني هذه اللفظة في اللغة: الخلاصة. ومن الثابت علمياً الآن، أن الإنسان يخلق من خلاصة مصطفاة، إذ إن الدفقة الواحدة من المني، تحمل مائتي مليون حيوان منوي على الأقل، يفلح حيوان منوي

واحد منها، فقط، في الوصول إلى قناة الرحم، ليلتقي بالبويضة ويلقحها، بينما تهلك الحيوانات المنوية الأخرى في الطريق.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ۝٤٦﴾ (النجم: ٤٥ - ٤٦).

فالذكورة والأنوثة وفق العلم الحديث يحددها الحيوان المنوي حسب ما يحمله من شارة الأنوثة أو الذكورة، فإذا أراد الله تعالى أن يخلق ذكراً، جعل الحيوان المنوي الذي يحمل شارة الذكر هو الذي يلقح البويضة، وإذا أراد أن يخلق أنثى، جعل الحيوان المنوي الذي يحمل شارة الأنثى هو الذي يلقح البويضة[1].

٢ - دوران الأرض وكرويتها

قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨).

فالآية الكريمة تقرر ما أكده العلم الحديث، من أن الأرض مع كل ما يخضع لجاذبيتها مثل الجبال والبحار وغلافها الجوي، تدور بسرعة، كما يمر السحاب، وذلك على خلاف ما يظهر للرائي، من أن الأرض ثابتة وأن السحاب هو فقط الذي يسير.

وقال تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾(الزمر: ٥).

والتكوير معناه: لف شيء على آخر في اتجاه مستدير كروي، وفي هذا إشارة واضحة إلى كروية الأرض[2].

٣ - الحديد

يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾(الحديد: ٢٥).

ففي هذه الآية الكريمة عبّر بلفظ: ﴿وَأَنزَلۡنَا﴾، والإنزال يكون من أعلى لأسفل، وهذا ما أكده العلم الحديث، حيث ثبت أن الحديد الذي يشكل حوالي ٣٦% من كتلة الأرض ليس جزءاً أصيلاً منها، وإنما رُجمت الأرض بعد انفصالها عن الشمس، بوابل من النيازك الحديدية، والحديد، بحكم كثافته العالية، تحرك معظمه إلى لب الأرض واستقر في جوفها.

وقوله: ﴿فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ﴾ فيه إعجاز علمي أيضاً، فقد ثبت علمياً أن نواة ذرة الحديد هي أقوى النوى رابطة وتماسكاً، حيث لا توجد ذرة أو نواة في شدة تماسكها، وتحتاج نواة

---

(١) **البار:** د. محمد علي، **خلق الإنسان بين الطب والقرآن**، الدار السعودية، جدة، ط١٠، ١٩٩٥م، ص١١١.

(٢) **علي:** محمد سامي محمد، **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، دار المحبة، دمشق، ط١٩٩٣م، ص٥٣ - ٥٥.

الحديد إلى طاقة هائلة لتفتيتها أو الإضافة إليها، ولذلك فإن الحديد هو عصب الصناعات الثقيلة في حياة الإنسان[1].

> **أتأمَّل:** رقم سورة الحديد في ترتيب سور القرآن: سبعة وخمسون، وهو الوزن الذري ذاته، لأحد نظائر الحديد!

٤ - الجبال

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (النبأ: ٦ - ٧).

فقد وصفت الآية الكريمة، وقبل ما يزيد على ألف وأربعمائة سنة، الجبال بأنها: ﴿أَوْتَادًا﴾، وهي لفظة واحدة، ولكنها معجزة، إذ الوتد يدفن أغلبه في الأرض، وأقله يظهر على السطح، ووظيفته التثبيت، وهي طبيعة ووظيفة الجبال كما كشف عنها العلم الحديث.

فقد كشف العلم أن كل نتوء على الأرض فوق مستوى سطح البحر، له امتداد داخل الغلاف الصخري للأرض، بأضعاف طوله الخارجي.

والجبال لها جذور عميقة تخترق الغلاف الصخري للأرض بالكامل، وتصل إلى نطاق الضَّعف الأرضي شبه المنصهر، وهو ما يُثَبِّتُ الأرضَ، ويجعلها متزنة[2].

٥ - خلق السماوات والأرض

قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة، لخص لنا القرآن الكريم بدقةِ وإعجاز، مراحل خلق السماوات والأرض، وإفنائهما، وإعادة خلقهما من جديد، في خمس آيات من القرآن الكريم، وعلى وفق أحدث تفسير وصلت إليه نظريات علم الفلك والفيزياء في العصر الحديث، ونتناول هذه الآيات الكريمات:

> **أتنبه:** نحن لا نجزم بتفسير القرآن وفق النظريات العلمية، لإمكان عدم صحة تلك النظريات، فتبقى من باب الاحتمال لا أكثر من ذلك، أما الحقائق الثابتة قطعاً ويقيناً، فتصلح للاستدلال بها.

---

(١) **النجار:** د. زغلول راغب، **الأرض في القرآن الكريم**، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦م، ص ١١٣ - ١٣٠، **العبيدي:** د. خالد فائق، **تفصيل النحاس والحديد في الكتاب المجيد**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص ١٨٧ - ٢٨٥، وفي قوله تعالى: (ث ث) إعجاز عجيب، يمكنك أن تراجع أبعاده المذهلة في المرجعين المذكورين.

(٢) **النجار:** د. زغلول راغب، **الأرض في القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص ٢١٠ - ٢١٥.

- قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾(الأنبياء: ٣٠).

تشير هذه الآية بوضوح تام، وقبل أن يكتشف ذلك أي عالم، إلى أن السماوات والأرض كانتا ملتحمتين معاً، ثم فتقهما الله تعالى.

والنظرية الحديثة في نشوء الكون، تقرر: أن كل صور المادة والطاقة كانت تلتقي في نقطة واحدة، هي جرم ابتدائي أولي، ذو حجم لا نهاية له في الصغر، ثم حدث لهذا الجرم انفجار عظيم، بسبب تغلب قوى الدفع للخارج على قوى الجذب للداخل، وهو ما يعرف اليوم بالانفجار الكوني الكبير.

- قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾(فصلت: ١١).

تقول النظريات العلمية: إنه عند انفجار ذلك "الجرم الابتدائي"، نتج عن ذلك ما يُعرف بسحابة الدخان الكوني، وانتقلت حرارة الجرم الهائلة إلى ذلك الدخان، مما أدى إلى عدد من التفاعلات النووية، تكونت منها العناصر الأولية كالهيدروجين والهيليوم. ثم تكدس ذلك الدخان بسبب التبرد المستمر له، على هيئة سُدم كونية هائلة، تكونت منها الكواكب والنجوم.

- قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾(الذاريات: ٤٧).

تشير النظريات العلمية الحديثة إلى: أن الكون، ومنذ لحظة انفجاره وحتى يومنا هذا، هو في توسع مستمر، وأن المجرات تتحرك بسرعات فائقة، متباعدة بعضها عن بعض وعن مجرتنا.

- قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾(الأنبياء: ١٠٤).

تتحدث الآية هنا عن طي الكون وإعادة الخلق كما بدأ، وتشير النظريات العلمية الحديثة إلى أن قوة الدفع إلى الخارج التي أحدثت الانفجار الكوني المذكور، هي في تباطؤ مستمر، وفي مرحلة معينة، ستتغلب قوى الجذب إلى الداخل على قوى الدفع إلى الخارج، وهو ما سيؤدي إلى توقف هذا التوسع، وعودة الوضع إلى حاله الأولى قبل الانفجار، كي يتكدس الكون مرة أخرى في جرم واحد، كهيئة الجرم الابتدائي الأول، وهو ما يسميه الفلكيون بمرحلة الانسحاق الشديد.

- قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾(إبراهيم: ٤٨).

وهنا يُخبر القرآن الكريم: أنه سوف تتكرر عملية الخلق، لتكوين أرض غير أرضنا، وسماء غير سمائنا، لتبدأ حياة أخرى، هي حياة الدار الآخرة. وقد يكون ذلك بانفجار كوني جديد، أو بأي طريق من عجائب خلقه سبحانه وقدرته[1].

٦ - العنكبوت

قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾(العنكبوت: ٤١).

ففي قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذَتْ﴾، إشارة إلى ما توصل إليه العلم، من أن الذي يبني البيت هو أنثى العنكبوت وليس الذكر، فالأنثى هي التي تحمل في جسدها غدد إفراز المادة الحريرية التي يُنسج منها بيت العنكبوت.

وقوله تعالى ﴿أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾، إشارة إلى أن بيت العنكبوت أضعف البيوت من الناحية المادية والمعنوية، فهو من **الناحية المادية**، لا يقي ساكنه حرارة شمس، ولا زمهرير برد، ولا مطر شتاء، ولا عصف ريح، ولا مهاجمة عدو. ومن **الناحية المعنوية**، وجد العلماء أن الرابطة الأسرية في هذا البيت أوهى ما تكون، وتنقصها المودة والرحمة والعطف، فالأنثى تفترس زوجها بعد التلقيح، كما أنها تأكل أولادها بعد الفقس، والأولاد يأكل بعضهم بعضاً[2].

> **أتامل:** يُعدُّ الخيط من حرير العنكبوت، واحداً من أقوى المواد الموجودة في الأرض، وله قدرة هائلة على تحمل الشد، ويفوق في قوته ثلاث مرات، قوة المادة التي تصنع منها السُترة الواقية من الرصاص، ولذلك قال تعالى: ﴿أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾، ولم يقل: (أوهن الخيوط)، فتأمل![3].

---

(1) **النجار:** د. زغلول راغب، **السماء في القرآن الكريم**، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤م، ص ٨٢ وما بعدها، وأنظر أمثلة أخرى مذهلة في المرجع المذكور.

(2) **النجار:** د. زغلول راغب، **الحيوان في القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص ١٤٠ - ١٤٤، **اللوح:** د. عبد السلام حمدان، **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، آفاق للطباعة والنشر والتوزيع، غزة، فلسطين، ط٢، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ص ١٩٧ - ١٩٩.

(3) **النجار:** د. زغلول راغب، **الحيوان في القرآن الكريم**، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦م، ص ١٤٢.

ثم إن التعقيب بعبارة ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ، إشارة إلى الحقائق العلمية التي تضمنتها الآية الكريمة، والتي لم يكشف عنها إلا العلم الحديث.

٧ - الذباب

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾(الحج: ٧٣).

وقد تضمنت الآية الكريمة إشارات علمية عديدة، منها:

أولاً: ما تضمنه قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾، فالسلب هو: الاختلاس، والذباب يختلس ما يأخذه اختلاساً، على وجه القهر. فقد كشف العلم الحديث، أن حركات الذبابة على درجة كبيرة من التعقيد، تمكنها من هذا السلب. فالذبابة لها قدرة على الإقلاع عمودياً مع القدرة على المناورة بالحركات الأمامية والخلفية والجانبية بسرعة فائقة. ويساعد الذبابة على هذا طبيعة أجنحتها وعضلاتها وما تحمله من شعيرات توجه الأجنحة في الاتجاه الصحيح. ويعين الذبابة في ذلك أيضاً عينان لا يزيد حجم الواحدة منهما على نصف المليمتر المكعب، وتتكون كل عين منهما من ستة آلاف عين سداسية، لها القدرة على الرؤية في جميع الاتجاهات، ومجموع الخيوط العصبية في العين الواحدة يقدر بـ ٤٨ ألف خيط عصبي، يمكنها معالجة أكثر من مائة صورة في الثانية، بالإضافة إلى مليون خلية عصبية متخصصة بالتحكم في حركة الذبابة.

الثانية: ما تضمنه قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾، ففي ذلك إشارة إلى ما توصل إليه العلم الحديث، من أن الذبابة تقوم بامتصاص الشراب والطعام بسرعة فائقة، وذلك بإفراز عدد من الأنزيمات والعصائر الهاضمة، القادرة على هضمه وإرساله إلى جهازها الدوري، ثم إلى مختلف خلايا جسمها، في ثوانٍ معدودةٍ، وبذلك لا يمكن استرجاعه منها[1].

([1]) **النجار:** د. زغلول راغب، **الحيوان في القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص ١٥٦ - ١٦٠.